Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم: أحمد بهجت

ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم: أحمد بهجت

ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

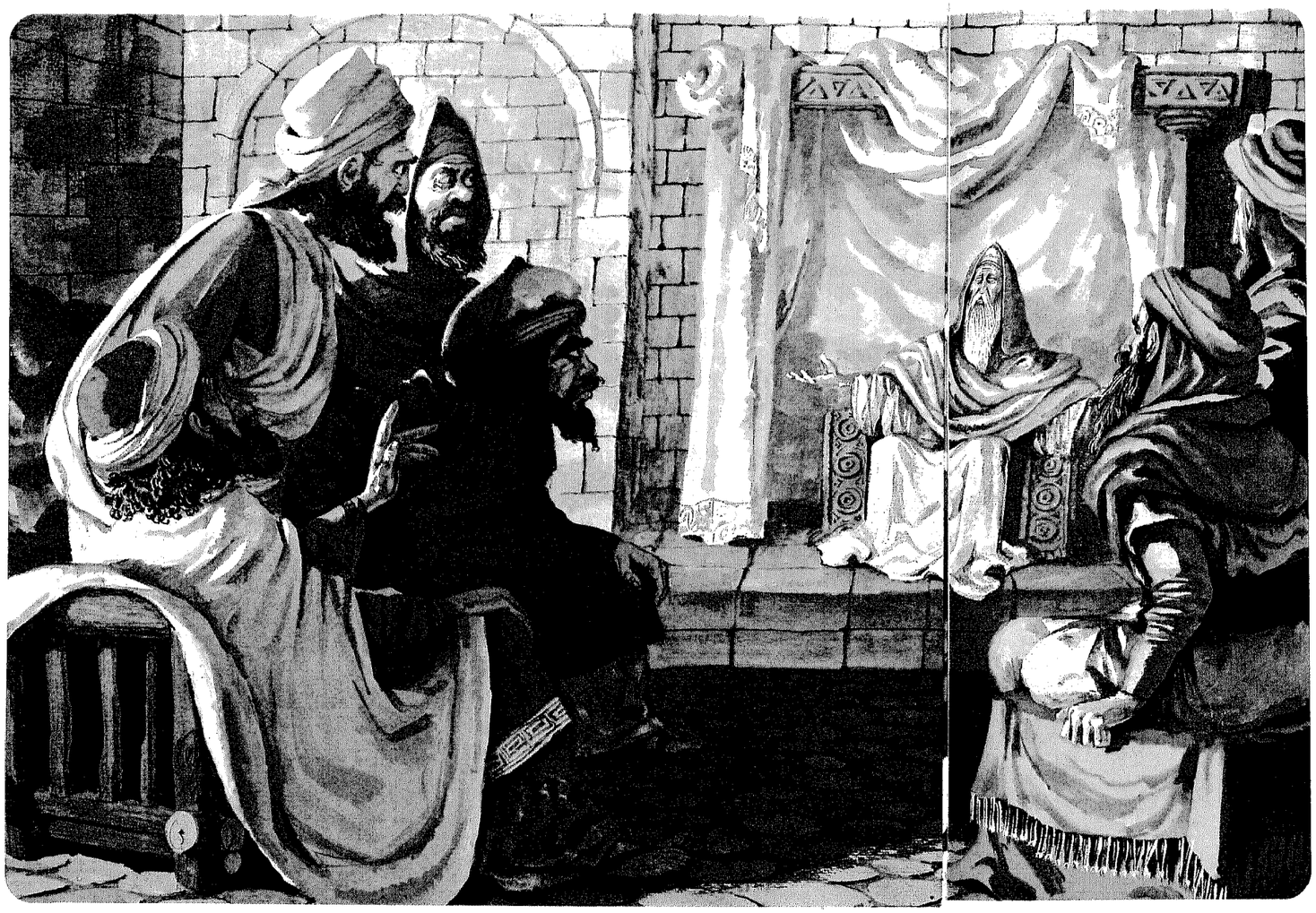

تباعدَ اليهودُ عن تَعاليم التَّوراةِ التي نَزلتْ على موسىٰ عليه السلام ، حين هَجروا كثيراً من تَعاليمِه وأَوامِرِهِ ، عندئذٍ وقعَ لهم ما يقعُ لكلِّ أُمةٍ تهجرُ كِتابَها أو تُضيعُ أَوامرَ نَبيِّها المُرسلِ . .

تَدهورتْ أَحوالُ بني إسرائيلَ عندئذٍ . . وهُزِموا من أَعدائِهِم . . وآستولى الأعداءُ على تابوتِ العهدِ ، وفيه بقيةٌ مما تركَ آلِ موسىٰ وَهارونَ ، وتَشرَّدوا في الأرضِ ، وطُردوا من دِيارِهِم ، وساءَتْ أَحوالُهُم ، وشاعَ الذُّلُّ بينهم ، وحكَمَهُم الضّعفُ ، ثم شاءَ الله تباركَ وتعالىٰ أن يَرحمَهُم فأَرسلَ إليهم نَبيّاً . . وبدأَ هذا النبيُّ يَدعو قَومهُ إلى الله . .

وذات يومٍ ذهبَ كبارُ القومِ من بني إسرائيلَ إلى هذا النبيِّ وقالوا له : أَليس الله هو الذي بعثكَ إلينا ؟

قال : نعم .

قالوا له : ألسنا مُشرَّدينَ ؟

قال : نعم .

قالوا : ألسنا مَظلومينَ ؟

قال : نعم .

قالوا : لماذا لا تَسألُ أَن يبعثَ لنا مَلكاً يَجمعُنا تحت رايتهِ كي نُقاتلَ في سَبيلِ الله ونَستعيدَ حقَّنا ونُصلحَ ما فَسدَ من أَحوالِنا ؟

قال نَبِيُّهم :أَخافُ إن دعوتُ الله أن يَبعثَ لكُم ملِكاً يَدعوكُم إلى القتالِ ألا تُقاتِلوا .

قال كِبارُ القومِ :ولماذا لا نُقاتِلُ في سَبيلِ الله وقد أُخرِجْنا من دِيارِنا وأَبنائِنا ؟

قال نَبيُّهم : لن تَتراجَعوا لو حدثَ ما تَطلُبونَه ؟

قـالـوا : أبـداً لن نَتـراجـعَ . .

قال نبيُّهُم : سوف أَسـأَلُ الله تعالىٰ أن يختارَ لكم مَلِكاً تُقاتِلونَ تحت رايَتِه .

آنصـرفَ القـومُ ودَعـا النبـيُّ ربَّ العالمينَ أن يختارَ لهم مَلِكاً . .

في نفسِ الـوقتِ . . خرجَ طـالوتُ يَرعىٰ غَنَمه . . كان طالـوتُ واحِداً من بني إسرائيلَ ، وكـان قلبُه يَنـطوي على الخيرِ ، وكان معه أَحدُ فِتيانِه ، فآنشغلَ في حَديثٍ هامسٍ معَ الفتى ، فَشَردتْ غنمُه في السُّهولِ .

ثم آنتهىٰ حَديثُه مع الغُلامِ ، فنـظرَ حولَه فلم يـرَ الغنمَ ولاَ رأى الحميرَ . . قال لِغُلامِه: لقد آستَغرقَنا الحديثُ فَسارتِ الأغنامُ في الصحراءِ.. تعالَ نبحثُ عنها . .

آنـطلقَ طالـوتُ في الصحراءِ بحثـاً عن قَطيعهِ ، فسارَ مَسافةً طَويلةً ، حتى إذا أَجهَـدهُ التعبُ وآنحـدرتِ الشمسُ نحـو المَغيبِ ولم يجدْ غنمَـه ويَئِسَ من العُثور عليها ، قرر أَن يذهبَ إلى النبيِّ ليسألَه أَين ضاعتْ . .

عـاد طـالـوتُ من الصحـراءِ وشقَّ طـريقَهُ إلى بيتِ نبيِّهم ودخـلَ عليه . .

قـال طالوتُ :أَيها النبيُّ الكريمُ . . خـرجتُ أرعىٰ الأغنـامَ والحـميـرَ ، فَشردتْ مني في الصحراءِ ، ولم أَعرفْ أَين ذهبتْ ، وقد جئتُ أَسألُك عنها . .

سألَه النبيُّ : هل تَحسُّ بالقلقِ على أَغنامِكَ وحَميرِكَ ؟

قال طالوتُ : نعم . .

قـال النبيُّ : لا تُشغلْ بـالَك بهـا ،

فقد عادتْ إلى بيت أَبيكَ . . دعكَ من مَوضوعِ الأغنامِ وآستمعْ إليَّ . . لقـد سـألني المَـلأُ من بني إسـرائيـلَ أَن أَدعـو الله أن يختـارَ لهم ملكـاً يُقـاتِلونَ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحت رايتِه في سبيل الله ، وقد دعوتُ الله فآختارك ملِكاً على بني إسرائيلَ .. وعليكَ أن تُعِدَّ نَفسكَ للقِتال.

سألَ طالوتُ : الله هو الذي آختارَني ؟

قال : نعم . .

قالَ طالوتُ وهو يَحسُّ بالسّعادةِ والرّهبةِ : أَنا رهنُ إشارتِكَ . .

قال النبيُّ : غداً نُقابلُ رؤَساءَ بني إسرائيلَ .

جاءَ الغدُ ، فآجتمَع رُؤساءُ بني إسرائيلَ وآجتمَع معهم طالوتُ . .

وقال لهُم نبيُّهُم : إن الله قد بعثَ لكُم طالوتَ مَلكاً . .

وَبرزتْ عواملُ العِنادِ في نُفوسِ بني إسرائيلَ فقالوا : كيفَ يكونُ له المُلكُ ونحن أَحقُّ بالمُلكِ منه ؟

سأَلَهم نبيُّهُم : لماذا تَتَصوَّرونَ أنكُم أَحقُّ بالمُلكِ منه ؟

قال الرؤَساءُ : نحن أَغنىٰ كثيراً منه . . أنظرْ إليه . . إنه يَرتدي ملابسَ الرُّعاة الفقيرةِ . .

قال النبي : ليستِ العِبرةُ في حُكمِ الشُّعوبِ بالغِنى أو الفَقر ، العِبرةُ بالقُدرة على قِيادةِ الشُّعوب ، إن طالوتَ هو آختيارُ الله تعالىٰ لَكُم ، وقد آختارَه الله تعالىٰ لِعِلمِه وقُدرَتِه .

عادَ رؤَساءُ بني إسرائيلَ يَقولونَ : نحن نُصدِّقُك أَيها النبيُّ ، ولكن كيفَ نَنسى أننا نحن شُرفاءُ هذه الأمَّة وسادتُها ؟ فكيف تَجاهَلنا الله وآختارَه هو ؟

قالَ النبيُّ : ليس لِمِثلي أَن يسألَ الله لماذا ؟ إن الأنبياءَ لا يَسألونَ وإنما يَستمِعون ويُطيعونَ . . وهذا هو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

آختيارُ الله له . .

قال سادةُ بني إسـرائيلَ : أنتَ تسدُّ عَلينـا بابَ الحِـوارِ أيّهـا النبيُّ . . نحن نُريدُ أن نَعرفَ لماذا آختيرَ طالوتُ ملكاً علينـا . . إن طـالـوتَ فقيـرٌ . . ومن الـرُّعـاةِ . . ليس من عـائِلةٍ كبيـرَة ولا تاريخَ له في الحرب ولا في الحُكمِ ولا في السِّيـاسـةِ . . أَليس من حقِّنـا أن نسأَلَ لماذا فَضَّلَه الله علينا ؟

قـال النبيُّ : عِلمُه هـو الـذي فضَّلَه عليكُم . . لقـد آتـاهُ الله بَسـطةً في العِلمِ والجِسمِ . .

قال سادةُ بني إسرائيلَ : إنّ فينـا من هو أَقوى منه جَسداً وأكثَر منه عِلماً . .

قـال النبيُّ : أَيُّهـا السَّـادة . . لقـد أَفهمتُكُم أَكثَـر من مـرةٍ أن العِبـرةَ في الحُكم بِقُـدرةِ الحـاكِم عـلى قِيـادةِ الشعبِ ، ولقـد حـدَّثتكُم أن آختيـارَه للمُلكِ جـاءَ من الله . . وليس لـي أن أسألَ الله لماذا آختـارَه للمُلك . . لعله آختارَه لِيَبتَليه . . من يَدري ؟ إن أَحداً لا يعـرفُ أَسـرارَ الله وحِكمتَـه في خَلقِه .

قال سادةُ بني إسرائيلَ : كيف نتأَكَّدُ أَن الله هـو الـذي آختـارَه لنـا ؟ نُـريـدُ مُعجِزةً تُثبتُ صدقَه .

قالَ نبيُّهم : آذهبوا إلى المَعبـدِ غداً فسـوف تَقعُ المُعجـزةُ ويَأْتيكُم تـابـوتُ العهدِ .

آحتَشدَ خلقٌ هائلٌ من بني إسرائيـلَ في اليـومِ التّـالي آنتِـظاراً لـوُقـوعِ المُعجِـزةِ . . كان تـابوتُ العهـدِ يَضُمُّ بَعضَ أَلـواحِ التـوراةِ التي أُنـزلتْ على موسىٰ ، كما كان فيه بعضُ آثـارٍ تَركَهـا موسىٰ وهارُون . . وكـان هذا التـابوتُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قد سُلِبَ منهم وآستولى عليه عَدُوُّهم . .

وقفَ الناسُ يَنتظِرونَ وُقوعَ المُعجِزَةِ . . وفي الوقتِ الذي حدَّدهُ نبيُّهم فُوجِئوا أن التابوتَ يَعودُ إلى مكانِه في المَعبد ، حَملتهُ الملائِكَةُ وَوضَعتهُ في مكانِه وسطَ دهشةِ الناسِ وآنبهارِهم . . لم يَروا المَلائكةَ ولكنَّهم رأوا تابوتَ العَهدِ يَسبحُ ببطءٍ وجَلالٍ إلى مكانهِ في المَعبدِ .

وأحسَّ الناسُ بالسَّكينةِ وآطمأنّوا لاختيارِ طالوتَ ملِكاً عليهِم . .

وهكذا أَصبحَ طالوتُ ملِكاً على قَومِه . .

قَدَّم الناسُ له فروضَ الطّاعةِ في حفلٍ كبيرٍ وآنتظَروا أوامِرَه . .

كان أولُ أمرٍ أصدَره طالوتُ أن يَبدأَ تكوينَ جيشٍ قويّ يتَدربُ على القِتالِ . .

أرسلَ طالوتُ في كلِّ قُرى بني إسرائيلَ يدعوُ الشبابَ القادرَ على حملِ السلاحِ إلى الحرب . . آنضمَّ إلى الجَيشِ جَمعٌ كثيرٌ من الشبابِ والرجالِ . . وبدأتْ مصانعُ الدُّروعِ والأسلحةِ تَعملُ ، وبدأَ التدريبُ على آستِخدامِ الأسلحةِ . .

كان طالوتُ يعرفُ أَن الحربَ تَعني تَوظيفُ كلّ قُوةِ الشعبِ وقِيادتِه لِهدفٍ واحدٍ . . هو النصرُ العسكريُّ . . وكان يعرفُ أن الحُروبَ تَقتضي نَفَقاتٍ كثيرةً وآستِعداداتٍ ضخمةً .

إن الحربَ هي السِّلاحُ والإنسانُ الذي يَستخدِمُه . لا بدَّ من توفيرِ السِّلاح إذاً . .

وبدَأ طالوتُ في تَوجيهِ كلِّ قُوةِ قَومِهِ

لِصناعةِ الأسلحةِ ، وكان يرقُبُ بِنفسِه حظَّ الأسلِحةِ من القُوةِ والصَّلابةِ ، وكان يَمتحِنُها بنفسِه ويُشرفُ على التَّدريب شَخصِيّاً .

وآستمرَّ صُنعُ السلاَح والتَّدريبِ فَترةً طَويلةً ، حتى آطمأنَّ طالوتُ لِسِلاح قومِه . .

كان عدوُّهُم هو جالوتَ ، وكان جالوتُ قائِداً عَظيماً لم يَهزمْهُ أَحدٌ . . وكانَ يَتبعُه جيشٌ هائِلٌ لا نِهايةَ لِجُنودِه ولا مثيلَ لأسلحَتِه في القُوةِ . . وكانَ جالوتُ يُشبِهُ إعصاراً مُدمِّراً لا يُقاومُه أَحُد .

كان طالوتُ حَكيماً فأَدركَ أن جَوهَر النَّصرِ لا يَكمُن في قُوةِ السلاحِ بِقدرِ ما يَخضَعُ لِقُوةِ الإرادةِ ، أدركَ أَن الغَلَبةَ ليستْ بأَعدادِ الجُنودِ إنما بِصلابةِ العَزيمة . . وهكذا آطمأنَّ طالوتُ لِقُوةِ الجيشِ ، ولكنّه لم يكُن قد آطمأنّ بعد لِقُوةِ الرُّوحِ المَعنويّةِ عند الجُنودِ والقادةِ . .

ولهذا قرّرَ أن يَمتحنَ هذا الجيشَ قبل أَن يَخوضَ به المعركةَ الحاسِمة مع عدوِّهِم جالوت . .

وأَمر طالوتُ جيشَه أن يسيرَ وسطَ صحراءٍ مُحرقةٍ . .

ظلَّ الجيشُ يسيرُ أيَّاماً ولياليَ وسطَ هذه الصحراءِ حتى بلغَ العطشُ بالرجالِ كلّ مَبلغٍ . .

وآنتهىٰ كلُّ الماءِ الذي يَحمِلُه الجُنودُ والضُّباطُ . .

كانت نِهايةُ الرِّحلةِ في الصحراءِ قد آقتربَت ، وكان طالوتُ يعرفُ أن هناكَ نَهراً قَريباً ماؤهُ شديدُ العُذوبةِ ، وقرَّر طالوتُ أن يكونَ هذا النهرُ هو أولَ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

آمتحانٍ عَمليٍّ لجيشِه . .

جمعَ طالوتُ قادةَ الجُندِ والألويَـة وقـال لهُم : نَقتربُ الآن من نهـرٍ سوفَ يَعبُـرهُ الجيشُ . . لا تَشـربـوا مِن هـذا النهرِ . . بلِّلوا شِفاهَكُم وأيديَكُم بالماءِ فقط . .

قــال قــادةُ الجُنــدِ : لكن الجيشَ يحسُّ بالعَطشِ . .

قـال طالـوتُ : من يشربُ من هـذا النهــرِ فليسَ منِّي . . إلا من آغتــرفَ غـرفـةً بيـدهِ . . ومن يشـربُ من النهـرِ فَلينسحـبْ من الـجيشِ . . آعـلمُــوا أن الله يراكُم .

آنقُلوا أَوامِري للجُنودِ وتَهيّـأوا لعبورِ النهرِ . .

نَقـلَ القادةُ والضُّبـاطُ أوامرَ طـالوتَ للجُنودِ ، وبدأَ الجيشُ يعبرُ النهرَ . .

كـانَ الامتحانُ قـاسِياً . . فـالـدُّنيـا شَــديـدةُ الحَــرارةِ ، والمــاءُ عــذبٌ وباردٌ . . والإغراءُ قويٌّ . .

وشربَ مُعظمُ الجنُـودِ من النهرِ ولم يَستطيعوا مُقاومةَ الإغراءِ . .

آنتهى عبورُ الجيشِ للنهرِ . .

أَخرجَ طالوتُ كلَّ من عصىٰ أَوامـرَه وشربَ من النهرِ . .

كــان الجيشُ كبيـراً قَبـلَ أن يعبُـرَ النهرَ ، ولكنّه بعـدَ عُبورِ النهـرِ وخُروجِ من خرج منه تغيرَ تَماماً . .

آنـكـمَش الـجيشُ إلـى أَقــلّ مـن النِّصفِ . .

قـالَ قادةُ الجيشِ لِـطالـوت : لقـد آنكمشَ عَددُنا كثيـراً . . فكيفَ نُقاتـلُ جيشَ جالوتَ الهائل بهذا العددِ القليلِ ؟

قـالَ طـالــوتُ : ليسَت العبـرةُ في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القِتالِ بعددِ المُقاتلين، المُهم إرادَتُهم .

قالَ القادةُ : لقد خرجَ مُعظمُ الجيشِ . . ولم يبقَ سِوى القليلِ .

قالَ طالوتُ : بل بقيَ الكثيرُ . . لقد خرجَ غيرُ المُخلصينَ . . وبقيَ المُخلصونَ الصَّابرونَ . . والصبرُ طريقُ النصرِ وأداتِه . .

وآنخَرط الجيشُ في حوارٍ حولَ ما فعلهُ طالوتُ . .

قال أحدُ الجُنودِ : لو أن طالوتَ تَركنا نشربُ من النهرِ لزادَ عددَنا ونحن نُحاربُ جالوتَ . .

قالَ ضابطٌ في الجيشِ : إن العددَ لا يكسبُ الحربَ أبداً . .

تساءَلَ الجُندي : ما الذي يُكسِبُ الحروبَ إذن ؟

قال الضابطُ : شيءٌ ليس هو السلاحُ ، وإن كان السلاحُ مُهماً ، وشيءٌ ليس ظاهِراً وإنما هو خفيٌّ . . شيءٌ يُسمُّونَه الرُّوح . . . أو إصرارُ الروحِ على الكسبِ . إن الجُنديَّ الذي لا يَستطيعُ الصّبرَ على العطشِ لا يستطيعُ الصبرَ على حرارةِ المعركةِ وعَطشِها . . والجُندي الذي لا يتبعُ أَوامِر قائِدِه يُمكنُ أن يُؤدِّي لإربالِكِ الجيشِ كُلهِ في المعركِة .

لقدَ خرجَ من الجيشِ ضعافُ الروحِ . . وبَقيَ الأقوياءُ . . وغداً نَرى مَا نفعلهُ مع جَالوت . .

وشاعَ الإيمانُ العميقُ في الجيشِ وقالَ المُؤمنونُ : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ .